عدد خاص يصدر عن صحيفة

14 أكتوبر
14 OCTOBER
يومية - سياسية - عامة

بمناسبة العيد الثامن والاربعين
لثورة 26 سبتمبر

الكاتب والصحافي المصري الراحل يوسف الشريف:

اليمن وأهل اليمن .. أربعون زيارة وألف حكاية

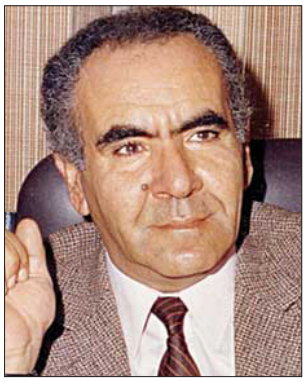

القاهرة/ متابعات:

في خمسمائة صفحة من القطع الكبير ومزود بملحق من الصور صدر للكاتب والصحافي يوسف الشريف سفره الجديد (اليمن وأهل اليمن، أربعون زيارة وألف حكاية) عن دار الشروق للطبع والنشر ، وقدم للكتاب الدكتور محسن العيني رئيس الوزراء اليمني الأسبق الذي أشار إلى أن علاقة الشريف باليمن بدأت مع ثورة السادس والعشرين من سبتمبر 1962 مع طلائع اليمنيين الأحرار في القاهرة، غير أن الكتاب يستعرض تاريخ اليمن القديم ويكشف . حسب التقديم . عن الصلات بين مصر واليمن وعلاقات ومصالح أمنية واقتصادية وإستراتيجية، وكذلك تناول العديد من الشواهد التي تدل على صلة بين الحضارة المصرية الفرعونية وحضارة اليمنيين.

ويقول الدكتور العيني: أبرز الكتاب دور مصر في دعم الثورة اليمنية في الشمال ودعم حركة التحرير في الجنوب وكذلك إبراز تضحيات الجنود المجهولين وما قدموه من أجل مصر ومن أجل اليمن، وركز علي أهمية ذلك عبر العلاقات التي يجب أن تقوم بين البلدين.

ويضيف العيني أن الكتاب لا يكاد يترك موضوعا إلا طرقه، تحدث عن صنعاء وأسواقها ومبانيها، وكوكبان وتعز وعدن وشبام وحضرموت، عن بازرعة في القاهرة والأديب علي أحمد باكثير، عن مخبازة الشيباني، عن المرأة اليمنية ودورها في القصة والأزياء والفل، عن المغتربين، عن المذهب الشيعي والحوثي وعن القبائل والقات والسلاح.

أما يوسف الشريف في مقدمته فينطلق من بداية الثورة اليمنية التي قضت علي حكم الإمامية الذي دام ثلاثمائة عام والاحتلال البريطاني الذي دام أكثر من مئة وخمسين عاما منذ عام 1839م.

يقول الشريف: إذا كانت مصر قد عبأت مواردها وحشدت إمكاناتها ودفعت بقواتها وأسلحتها وعتادها عبر جسرين بحري وجوي للقتال إلى جانب ثوار اليمن، حيث امتزجت الدماء وتعانقت أرواح الشهداء اليمنيين والمصريين، فلا شك أن هذه الملحمة النضالية سابقة سياسية وشعبية مقدرة في سجل التاريخ العربي المعاصر وانحياز مشهود لدعوة القومية العربية، بالنظر إلى الانتصار الذي تحقق للثورتين، ثم تتويج ذلك الانتصار المؤزر بإعلان الوحدة بين شطري اليمن يوم 22 مايو عام 1990 .

أما عن الدور المصري في اليمن في ضوء حسابات الربح والخسارة فيقول إن المصريين هم الذين تراخوا حكومات وشعبا عن جني الثمرات، لا علي النمط الاستعماري، وإنما على النحو الذي يعزز من تمتين اللحمة السياسية والشعبية، وتكامل المصالح المشتركة، والتنسيق في إطار منظومة الأمن القومي العربي، بالنظر لموقع البلدين الحاكم لمدخلي البحر الأحمر الشمالي والجنوبي.

ويضيف الشريف: أن المبادرة الوحيدة علي هذا الصعيد، حين كان علي مصر إغلاق باب المندب في وجه الملاحة الإسرائيلية إبان حرب (أكتوبر) 1973، من دون إذن أو تشاور مع السلطات اليمنية لدواعي المفاجآت الإستراتيجية، ولم يكن ليتحقق ذلك فيما لو كانت الإمامة المتوكلية علي سدة الحكم في صنعاء، وبريطانيا متمترسة في قاعدتها العسكرية في عدن.

أما عن موقف من يسميهم يوسف الشريف ب كتاب الردة مشيرا إلى الهجوم الذي حدث علي الموقف المصري من اليمن بعد رحيل عبدا لناصر فيقول عنه انه كان تنديدا مسعورا أنبنى علي كونه سبب خرابا اقتصاديا لمصر وتسبب في نكستها العسكرية في (يونيو) 1967 علي حد زعمهم، إلي حد اغتيال شخصية وسمعة جمال عبدا لناصر ضمنيا، عبر التكفير بكل ما تبناه ودعا له من مبادئ التضامن القومي، وسعيه إلى دعم حركات التحرر العربي.

ويضيف الشريف هنا: لم تكن رموز الثورة المضادة تمارس نشاطها السياسي والفكري والدعائي المشبوه بإمكاناتها الذاتية، ولكنها وجدت السند والدعم من الرجعية العربية وخزائنها، ومن أعداء حركة التحرر العربي دون حساب.

ويرد الكاتب انه علينا أن نعترف بصدق وموضوعية أن دعاة الردة خاب فألهم وفشل مخططهم المشبوه الرامي إلى تشويه الدور المصري في اليمن أو تقزيمه، لأن الذاكرة التاريخية راحت تفضح كل ما روجوه من افتراءات وأكاذيب عبر الندوات الحوارية والبحثية التي تجمع بين النخب الثقافية والسياسية في مصر واليمن تحت شعار تمتين وترشيد ودعم العلاقات بين البلدين، وشهادات الشهود الراحلين والأحياء علي ملحمة النضال اليمني المشترك.

ويقر المؤلف أن مادة كتابه اعتمدت علي تجربته ورؤيته الشخصية للتطورات والوقائع التي عايشها وعلي اختياره أسلوبا بسيطا في الكتابة عنها وعبر اختيار ما يؤكد علي مصداقيتها من الحكايات والروايات المتاحة ولعلها الأحرى بالمتابعة والإسهام في استيعاب مضمونها . حسب الشريف . الذي يؤكد علي حرصه قصر كتابته علي الصفوة فحسب بل يكتب للمهتمين وغير المهتمين، ويشير أيضا إلي عبوره سريعا علي المعروف والمتداول سلفا من المعلومات والولوج إلى ما وراء الكواليس من الدولارات والأسرار.

يتناول الشريف العلاقات المصرية اليمنية في بعدها التاريخي منذ العصر الفرعوني، ثم عرش سبأ والملكة بلقيس ثم يكتب تفصيلا عن عمارة اليمني أول سفير لليمن في مصر إبان الحكم الفاطمي ثم السفير اليمني بالقاهرة في عصر الإمام يحيي حميد الدين وهو السيد علي المؤيد، كذلك يتناول جيش محمد علي وحملته العسكرية إلى الحجاز والاتجاه إلي اليمن وانتزاعه تهامة من يد محمد بن مسعود عام 1818 وإعادتها إلى اليمن إبان حكم الإمام المتوكل علي الله أحمد بن علي، وعودة محمد علي ثانية إلى اليمن لمواجهة الانكليز الذين ورثوا النفوذ البرتغالي في المنطقة، إذ كان الانكليز . حسب المؤلف . قد وجهوا مدافعهم البحرية وقصفوا ميناء المخا، ثم أجبروا إمام اليمن علي منحهم مركزاً عسكريا، حيث تمكنت الحملة العسكرية المصرية من تحرير جميع مناطق تهامة عام 1832 وحتى وصلت إلى مرتفعات تعز.

يتناول الشريف أيضا شخصية الفضيل الورتلاني أحد قادة تمرد ثورة الأحرار في اليمن عام 1948، وهو التمرد الذي فشل، وأعدم الإمام أحمد معظم قواده، ويشير الشريف إلى أن الفضيل الورتلاني أسس شركة تجارية مقرها سوق الملح في صنعاء، لتغطية نشاطات النضال الوطني، وكان علي رأسها المناضل علي محمد السنيدار، ومجموعة من التجار المستنيرين وغيرهم من الأحرار، حيث كانوا يعقدون الاجتماعات التي تستهدف التخطيط للقيام بالثورة، وتأسيس حكم دستوري ديمقراطي برئاسة الإمام المرتقب عبدالله بن الوزير، حتى انضم إليهم تباعا عدد من العسكريين الذين شكلوا خلية ثورية برئاسة المناضل العراقي الكبير جمال جميل.

وتستمر حكايات يوسف الشريف حول التدخل المصري في اليمن ومأزق الاحتلال العثماني، حرب الخطاط وحرب فلسطين، زعامات الأحرار في القاهرة، فشل السكري في اغتيال الإمام، مجلة الحكمة، استشهاد الضباط الأحرار، الملكيون يركبون الجبال، اليمن ونكسة حزيران (يونيو)، إغلاق باب المندب، شهادة المشير عبدالله السلال، وهي الشهادة التي يشن فيها هجوما كثيفا علي الدكتور عبد الرحمن البيضاني الذي قدم نفسه في بداية الثورة اليمنية علي أنه واحد من المؤثرين الحقيقيين فيها، ويقول الشريف ان البيضاني علي العكس من ذلك لعب أدوارا سلبية في بداية مسيرة الثورة سواء في منازعة الثوار علي سلطة السيادة ومناصبها، أو عبر فتح جبهات للخلاف الطائفي المرير مع أنصار المذهب الزيدي والهاشميين ولم تتمكن الثورة بعد من تثبيت أقدامها، ويشير الشريف إلى أن البيضاني لم يكف عن إثارة النعرات الطائفية والادعاء باضطهاد الشوافع تحديد، وهو أيضا واحد من الذين شنوا هجوما صارخا علي جمال عبدالناصر.

ويذكر أيضا أن البيضاني كان قد التحق بحركة الأحرار اليمنيين في القاهرة عام 1960 غير أنه سرعان ما اصطدم مع زعيمي الحركة آنذاك القاضي محمد محمود الزبيري والأستاذ أحمد محمد نعمان، وهما قد أفاضا في أسباب إبعاده وعزل من الاتحاد اليمني الذي كان يمثل تجمع المعارضة اليمنية، لأنه فاق بتعصبه الطائفي والعرقي السافر كل المتعصبين من قبله. حسب المؤلف. ويذكر الشريف نص البيان المعنون الأحرار إلي الأحرار الذي نشرته جريدة العمال بعدن في 16 أيلول (سبتمبر) عام 1962 أي قبل عشرة أيام من اندلاع الثورة اليمنية وينقل مئة جزء مما قاله الزبيري والنعمان.

في حق البيضاني: جاء على آخر الزمان طارئ جديد علي صفوف الحركة الوطنية يطالبنا بالمنكر، ويدعونا إلي جريمة الانشقاق بين أبناء الشعب، والإعتماد عليها. كما يزعم. في تحقيق الثورة، وما أشبه طلبه هذا بمن يحاول تطهير قرية من ميكروب الملاريا فيضربها بالقنابل الذرية، ويقول ولقد ذكرنا بالعبد الأبله الذي حاول ان يطيّر الذباب عن جبين سيده، فرمي صخرة ضخمة حطمت جبين سيده دون الذباب الذي طار قبل أن تلحقه الصخرة.

ويقول الشريف: لا أنسي وقتئذ أن مجلة (روزاليوسف) تلقت العديد من رسائل اليمنيين التي كانت تحتج على نشر مذكرات البيضاني عن اليمن، وهكذا تقرر وقفها بالتزامن مع استبعاد البيضاني من الحديث عن اليمن في إذاعة صوت العرب، وقد اعترف البيضاني نفسه في احدي لحظات تجلية أن جمال عبدا لناصر قال له : كيف تقبل على نفسك وأنت رجل مثقف، احتراف العمل الطائفي؟ .